**بين عام غابر، وعام زائر**

**وضاح سيف سعيد الجبزي**

**الحمدُ لله المبدئ الوارث، المعيد الباعث، الذي قهر بالفناء ما دونه، وعلِم من الغيب مكنونَه، وأنجز من الوعد مضمونَه، واختار مِن خلقه محمداً أمينَه، وجعل الحنيفية شريعته ودينه، أحمَدُه وهو بالحمد جدير، وأستنصره وهو نعم المولى ونعم النصير.**

**وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادةً سالمة العاقبة، قائمةً بحقوق الله الواجبة.**

**وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بأسدّ الطرق والمذاهب، واختاره من صفوة النُّجباء والنّجائب، وابتعثه من أطهر المنابت والمناصب، وأحلّه من صميم العرب في أعلى الذوائب، من شجرة مُرَّةَ بنِ كعب بن لؤي بن غالب، صلى الله عليه وعلى آله الأطهرين الأطايب، ما وخَدَتْ قلوص براكب، ودارت فلك المشارق والمغارب، وسلّم تسليماً.**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **يا ربِّ صلِّ على النّبيِّ وآلِهِ واجعل لنا يا رب فيه أُسوةً ليس المحبُّ من ادعى بلسانه إنّ المحبَّ إذا ذكرتَ حبيبَـهُ صلى عليك الله يا بدرَ الدُّجى** |  | **وعلـى الذين مضَـوا علـى منوالِهِ ننجو بها في الحشر مِـن أهـوالِهِ والحـالُ منـه مُكَـذِّبٌ لمَـقـالِــهِ لم يَخْفَ منه هوى المحبِّ الوالِهِ ما عَـــمَّ مخلـوقاً عظيـمُ نوالِهِ** |

**صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته. وبعد:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **أفَل العام وولّى وذهبْ هـكذا الأعوامُ في إدبارها تقطَع الأيامُ من أعمارنا ويشيبُ الدّهرُ أحداثاً وقد والكبيرُ الشيخ يُجرَى خلفَه إنما الرّابحُ في الدنيا الذي** |  | **وأتى العامُ الجديدُ المرتقبْ كلُّ عام إن بدا عامٌ غربْ قطعَ منشارٍ لأعواد الخشبْ يُزرعُ الشيبُ على رأس الأشبْ ما له مِن قبضة الموت هربْ ضن بالوقت الثمين المكتسبْ** |

**أيها الإخوة المؤمنون، ها نحن نودع عامًا، ونستقبل آخر، وبين عام فات، وعام-بإذن الله- آت، بين عام مغادر، وعام جديد زائر، يتأمل الإنسان انصرام الأيام ومرورها، وانقضاء الليالي وعبورها، وانقراض الأعوام وكرورها، ونقص السنين وبدورها، وتقلّص الأعمار وضمورها.**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **تَنقُصُ الأعمارُ عاماً بعد عامْ نحوَ ما نخشاهُ نجري غفلةً مَن بنى دنياه واستكفى بها البداياتُ سَواءٌ في الورى** |  | **أتُرىٰ يشعرُ بالنّقص النّيامْ؟! تَحملُ الأكتافُ أوزارَ الحُطامْ! فعليها وعلى الباني السّلامْ! إنّما العِبرةُ في حُسن الختامْ!** |

**عباد الله، في مرور الأيام، وكرور الأعوام، ذكرى لمن ادّكر، وعبرة لمن اعتبر، وموعظة لمن تدبّر واستبصر، فطوبى لمن أخذ من ذلك العِبرة، وفاضت من عينه العَبْرة، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾[الأنعام:104]، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[ق:37]، ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾[الأعلى:10].**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **تطوي لنا صفحةُ الأقدارِ أعمارا** |  | **عامٌ يمُرُّ وعامٌ يطرقُ الدارا** |

**نقف على حافتَي عام حاضر، وعام غابر، ذهب كأمس الدابر، وكأن أحداثه دوران رحى، ومدة بقائه كإقامة شمس ضحى، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ ما يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ ساعَةً مِنْ نَهارٍ بَلاغٌ﴾[الأحقاف:35]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾[النازعات:46].**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **قالوا سيرحلُ من أعمارنا عامُ لا يرحل العام! نحن الراحلون إلى** |  | **فقلتُ: كيف وهذا العمر أيامُ!؟ نهاية العمر! والأعوام أرقامُ** |

**أيها المسلمون، بين عام منصرم، وعام قادم، نستذكر: كم من الأعمار أمضينا؟ وكم من الأعوام قضينا؟ وكم من الأحباب فقدنا؟ وكم من الأصحاب دفنّا؟ وكم من الأقارب وارينا؟**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **خليليَّ كم مِن ميتٍ قد حضَرتُهُ وكم مِن ليالٍ قد أرَتْني عجائبًا وكم مِن خُطُوبٍ قد طوَتْنِي كثيرةٍ ومن لم يزده السِّنُّ ما عاش عِبرةً** |  | **ولكنَّني لم أنتفِعْ بحضوري لَهُنَّ وأيامٍ خلَتْ وشهورِ وكم من أمورٍ قد جَرَتْ وأمورِ فذاك الذي لا يستنيرُ بنُورِ** |

**في مفترق عامين، ومتّسق زمانين، نتذكر -يا أيها الأحبة- الأحبة الذين كانوا معنا في العام الماضي! أما أصابَتهم سِهام المَنون المواضي؟! وأفنتهم آفات الآجال القواضي؟! وأعدمتْهم صوماً وفطراً؟! وزوّدتهم من الحنوط عِطرا، وأصبح كل منهم ساكناً قبرا؟! أما أدارت عليهم المنون رحاها، وحَكَّ وجوهَهُم الثّرى فمحاها؟!**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **في الذاهلين الأوليـ لما رأيت مواردًا ورأيت قومي نحوها لا يرجع الماضي ولا أيقنت أني لا محا** |  | **ـن من القرون لنا بصائرْ للموت ليس لها مصادرْ يمضي الأكابر والأصاغرْ يبقى من الباقين غابرْ لة حيث صار القوم صائرْ** |

**معاشر الإخوة الفضلاء، العامُ الجديدُ يُثيرُ -عند ذوي النُّفوسِ الحيَّة، والقُلوب المؤمنة- العِبرةَ بمرور الأيام، وسرعةِ انقضائها، والقلوبُ اليقظة، تتجدّد فيها الحياة كلما دارت الأفلاك، وسبّحت الأملاك، وتتوثّب فيها المنافسة كلما سارت الكواكب، ورست المراكب، ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾[الإسراء:12]، ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾[الفرقان:62]، ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾[فاطر: 37].**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **مَن لاحَ في عارضِهِ القَتيرُ  إِنْ اخْتفَى ما في الزمان الآتِي عَلِمتَ يا مُجاشِعَ بنَ مسْعَدَةَ** |  | **فقد أتاهُ بالبلى النذيرُ فَقِسْ على الماضي مِن الأوقاتِ أنّ الشّبابَ والفَراغَ والجِدَةْ** |
| **مفسدَةٌ للمرءِ أيُّ مفسدَةْ** | | |
| **يا لِلشبابِ المَرِحِ التَّصابي ليس على ذي النصحِ إلا الجَهدُ** |  | **روائِحُ الجنَّةِ في الشبابِ الشيبُ زَرعٌ حان منه الحَصدُ** |

**فلا تتعامى - يا عبد الله - عن المصرَع؛ فإن النَّفَس قد يخرجُ ولا يعُود، فأنت غرِيمُ المنايا، وأسيرُ الأماني، وإن عسكر الموتى لا ينتظرون، والموتُ لا يستمِعُ لصَرخَة ملهوف، ولا لحسرة مُفارق، ولا لرغبة راغِب، ولا لخوف خائف، فاحذَر -حفظك الله- أن يكون عُمرُك عليك حُجَّة، وأيامُك عليك شِقوة.**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **أيا ابن آدم لا تغْرُرك عافيةٌ ما أنت إلا كزرع عند خُضرَتهِ فإن سَلِمتَ مِن الآفات أجمَعِها** |  | **عليك شاملةٌ فالعُمْرُ معدُودُ  بكلِّ شيءٍ مِن الأوقات مقصُودُ فأنت عند كمال الأمر محْصُودُ** |

**أيها الناس، الدّهرُ ذو عِبَر، يجرِي بها قدَر؛ مُلْكٌ يُنزَع، وعافيةٌ تُرفع، وبلاءٌ يقع، وكل نعمةٍ فإلى انتقال، وكل ظلمٍ فإلى زوال، وكل كيدٍ فإلى وبال، وكل علوٍّ فإلى سفال، وكل بغيٍّ فإلى ضلال، وكل سلطانٍ فإلى اضمحلال، وكلُّ مُلكٍ فإلى انتِهاء، وكلّ مخلوق فإلى الفناء، ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[الرحمن:27]، ﴿فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الْأَبْصَارِ﴾[الحشر:2].**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **دُنياك ساعاتٌ سِراعُ الزَّوالْ فهل تَبيعُ الخُلدَ يا غافلاً** |  | **وإنَّما العُقبَى خُلودُ المآلْ وتشتري دُنيا المُنى والضَّلالْ؟!** |

**﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[العنكبوت: 64]، ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[الأعلى:17].**

**يقول ﷺ: «وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟»**([[1]](#footnote-1))

**يقول أبو حازم -رحمه الله-: إن قليل الدنيا يَشغَلُ عن كثير الآخرة، وإن كثيرها ينسيك قليلها، وإن كنت تطلب من الدنيا ما يكفيك فأدنى ما فيها يكفيك، وإن كان لا يُغنيك ما يكفيك فليس فيها شيء يُغنيك([[2]](#footnote-2)).**

**أيها الناس، في توديعِ عامٍ واستِقبالِ آخر، يتذكرُ الإنسانُ قدومَه على الله، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾[آل عمران: 30]، ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾[الأنعام:62]، ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى \* يَقُولُ يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[الفجر:23-24].**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **إلى كم تمادَى في غرورٍ وغفلَةِ لقد ضاع عمرٌ ساعةٌ منه تُشتَرى أيُنفقُ هذا في هوى هذه التي أترضى من العيش الرغيد وعيشةٍ أفانٍ بباق تشتريه سفاهةً لقد بعتها هوناً عليك رخيصةً** |  | **وكم هكذا نومٌ إلى غير يقظةِ؟! بملء السما والأرض أيّةَ ضيعةِ أبى الله أن تُسوى جناحَ بَعوضة؟! مع الملأ الأعلى يعيش البهيمة؟! وسخطًا برضوان ونارًا بجنة؟! وكانت بهذا منك غيرَ حقيقةِ** |

**قال أبو حازم -رحمه الله-: عجبًا لقوم يعملون لدارٍ يرحلون عنها كلَّ يوم مرحَلة، ويدعون أن يعملوا لدارٍ يرحلون إليها كلَّ يوم مرحلة([[3]](#footnote-3)).**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وما هذه الأيامُ إلا مراحلٌ وأعجب من ذا لو تأملت أنها** |  | **يحُثّ بها داعٍ إلى الموت قاصِدُ منازلُ تُطوَى والمسافرُ قاعدُ** |

**أيها المؤمنون، تمرّ الشهور تعقبها الشهور، وتمضي السنون على إثرها سنون، وكثير من الخلق في سبات غافلون، وفي غيهم سادرون، ويمرُّ علينا عامٌ بعد العام، والبعض قد غرق في وحل دنياه وعام، لم يعظه الموت، ولم ينهه السقام، ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[الأعراف:146]، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾[يونس:92].**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **أتَسمعُ الطَّيرَ أطالَ الصِّياحْ ما صاح إلا باكياً ليلةً** |  | **وقد بدا في الأُفْقِ نُورُ الصَّباحْ؟ ولَّتْ مِن العُمرِ السَّريعِ الرَّواحْ** |

**أيها المؤمنون، الآجالُ مضرُوبة، والأيامُ معدُودة، والأرزاقُ مقسُومة، ولن يُعجِّل الله شيئًا قبل أجَلِه، ولن يُؤخِّر شيئًا بعد موعده، ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[نوح: 4].**

**ألا فاتَّقُوا الله -رحِمَكم الله-، وحاسِبُوا أنفُسَكم؛ فمَن حاسَب نفسَه حفظ لسانه، وطهّر جنانه، وبكى على خطيئته، وندم على جريرته، وعُرِف بلَيلِه إذا الناسُ نائِمُون، وبنهارِه والناسُ مُفطِرُون، وبورعِه والناسُ يخلِطُون، وبصَمتِه والناسُ يخُوضُون، وبخَوفِه إذا الناسُ غافِلُون، وكان حاله ومقاله: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:161-163].**

**ألا، فلينظُر العاملُ عملَه، والمُؤمِّلُ وما أمَّله؟ فابنُ آدم مجهولُ الأمل، معلومُ الأجل، محفوظُ العمل، مكنون العِلَل، أسير جُوعِه، وصريع شِبَعِه، تؤذيه البقَّة، وتقتله الشرقة، لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا؛ فأعجبُ العجب: سرور في غرور، وسهو في لهو.**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **الموت في كل حين ينشر الكفنا لا تطمئن إلى الدنيا وزخرفِها أين الأحبة والجيران ما فعلوا؟ سقاهم الدهرُ كأساً غيرَ صافيةٍ** |  | **ونحن في غفلة عما يراد بنا وإنْ توَشّحْتَ مِن أثوابها الحسنا أين الذين همُ كانوا لنا سكنا؟ فصيّرتْهم لأطباق الثرى رَهَنا** |

**أيها الناس، إنكم في دارٍ ليست للبقا، وإن تراخى العُمر وامتدَّ المدى، الدنيا قنطرةٌ لمن عبَر، وعبرةٌ لمن استبصَرَ واعتبَر، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[آل عمران: 185]، حياةٌ تقود إلى الممات، لا يُرى في حُشودها إلا الشتات، وما يُسمَعُ في رُبُوعِها إلا: فلانٌ مرِض، وفلانٌ مات.**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **يهون كلُّ اغترابٍ في الحياة فكمْ وغُربةُ الموتِ أقسى ما نُكابِدُهُ من ذا الذي نال في دنياه غايتَه؟ يَفنى الفتى وعلى عينيه أشرِعةٌ يضيقُ بالمرءِ عمرٌ لو أفاقَ لهُ آمنتُ بالله لا يأسي سينفعُني** |  | **ذي غربةٍ عاد محفوفاً بإجلالِ؟! كم فرَّقت بيننا من غير إمهالِ؟! من ذا الذي عاش فيها ناعمَ البالِ؟ من الذُّهُولِ تواري دمعَه الغالي لَما قضاهُ بتفريط وإهمالِ ولا بكائي فإن الله أبقى لي** |

**معاشر الأحبّة، كفى بخشية الله عِلمًا، وكفى بالاغتِرار جهلًا، وتركُ الخطيئة خيرٌ مِن طلب التوبة، ورُبَّ شهوة ساعة أورَثَت حُزنًا طويلًا، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[فصلت: 46].**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **فعليك تقوى اللهِ فالزمها تَفزْ** |  | **إنَّ التقيَّ هو البَهيُّ الأهيبُ** |

**معاشِر المسلمين، العقلاءُ ثلاثة: مَن ترك الدنيا قبل أن تتركه، وبنى قبره قبل أن يدخله، وأرضى مولاه قبل أن يلقاه، وكان من الذين إذا ذُكِّروا بآيات ربهم ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ \* تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[السجدة:15-16].**

**أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم:** **﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ \* وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ \* وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[الشورى:36-38].**

**بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما جاء فيه من الآيات والذِّكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل، لي ولكم، ولسائر المسلمين، من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.**

**الخطبة الثانية**

**الحمد لله المبدئ المعيد، الوليّ الحميد، ذي العرش المجيد، الفعّال لما يريد، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ضد ولا نديد، شهادةَ مخلصٍ في التوحيد، راجٍ للحسنى والمزيد، ونشهد أن سيدنا محمّدًا عبده ورسوله لبنة التمام، وبيتُ القصيد، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريّته والتابعين، والناصرين لسنّته بالقول والفعل إلى يوم الدين.**

**وبعد:**

**فاتقوا الله -رحمكم الله-، واغتنِموا الأيام قبل فواتها، وأحسنوا أعمالكم قبل موافاتها؛ فإن الأعوام تتصرَّم عامًا بعد عام، والناس في غفلة نيام، يشاهدون المنايا، وتفجؤهم الآفات والبلايا، وهذا عام قد ودَّعتموه، شاهد بما قد أودعتموه، والموفق من ترك التفريط والإهمال، واستكثر من صالح الأعمال؛ فإن كل لحظة تمر على ابن آدم هي جوهرة لا تعدلها الدنيا بما فيها من حطام، فلا تفرّط فيما بقي لك من الأيام، ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾[القصص:77].**

**واعلم أن خير الناس -كما أخبر رسول الهدى ﷺ-: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ»**([[4]](#footnote-4))**.**

**وقال ﷺ: «وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمُرُهُ إِلَّا خَيْرًا**([[5]](#footnote-5))

**وقال ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلَ عِنْدَ اللهِ مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَمَّرُ فِي الْإِسْلَامِ، لِتَسْبِيحِهِ وَتَكْبِيرِهِ، وَتَهْلِيلِهِ»([[6]](#footnote-6)).**

**﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾الكهف:46].**

**كان أبو معاوية الأسود يقول لنفسه: إن كنت يا أبا معاوية تُريد لنفسك الجزيل، فلا تنامنَّ الليل ولا تَقيل، قدِّم صالح الأعمال، ودع عنك كثرة الأشغال، بادِر ثم بادر قبل نزول ما تُحاذر، ولا تهتم بأرزاق من تُخَلِّف، فلستَ أرزاقَهم تُكَلَّف([[7]](#footnote-7)).**

**ويقول سهل بن عبد الله: استجلب حلاوة الزهد بقصر الأمل، واقطع أسباب الطمع بصحة اليأس، وتعرض لرقة القلب بمجالسة أهل الذكر، واستفتح باب الحزن بطول الفكر، وتزين لله بالصدق في كل الأحوال، وإياك والتسويف فإنه يغرق الهلكى، وإياك والغفلة فإن فيها سوادَ القلب([[8]](#footnote-8)).**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **دع عنك ما قد فات في زمن الصِّبا وغُرور دُنياك التي تسعى لها والروحُ فيك وديعةٌ أُودِعتَها** |  | **واذكُر ذُنوبَك وابكها يا مُذنِبُ دارٌ حقيقتُها متاعٌ يذهبُ سترُدُّها بالرغم منك وتُسلبُ** |

**فيا مَن يُقصَدُ بالموتِ ويُنحَى، يا مَن أسرف في المعاصي إجرامًا وقُبحًا، يا مَن أسمعَتْه المواعِظُ إرشادًا ونُصحًا؛ هلا انتهيتَ وارعوَيت، وبذلتَ وبكَيت، وفتحتَ للخير عينيك، وقمتَ للهُدى مشيًا على قدميك؛ لتحصُلَ على غاية المُراد، وتسعَدَ كلَّ الإسعاد؛ فإن عصيتَ وأبيت، وأعرضتَ وتولَّيت، حتى فاجأك الأجل، وقيل: مَيْتْ، فستعلمُ يوم الحساب من عصيتْ، وستبكي دمًا على قُبح ما جنَيتْ.**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **يا غافلًا عمّا خُلِقتَ له انتبهْ سار الرِّفاقُ وخلَّفُوك مع الأُلى ورأيتَ أكثرَ مَن تَرى مُتخلِّفًا لكنْ أتَيتَ بِخُطَّتَي عجزٍ وجهـ  منَّتْك نفسُك باللَّحاق مع القعود ولسوف تعلم حين ينكشِفُ الغِطا** |  | **جدَّ الرَّحيلُ ولست بِاليقْظانِ قنِعوا بذا الحظِّ الخسيس الفاني فَتَبِعْتَهُم ورضِيتَ بالحرمانِ ـلٍ بعد ذا وصَحِبتَ كلَّ أمانِ عن المسيرِ وراحةِ الأبدانِ ماذا صنعت وكنت ذا إمكانِ؟!** |

**فيا أيها الناس، أقلعوا عن التسويف قبل أن تُقلَعوا، وارجعوا عن الحوب قبل أن تُرجَعوا، وتمتَّعوا بالعمل الصالح قبل أن تُمنعوا، فقد أتاح الله لكم ميادين التجارة الرابحة فتاجروه، وأنذركم شدَّة بأسه فحاذِروه، فأنيبوا إليه، وأسلموا له وراقبوه، ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ \* أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ \* أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ \* أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[الزمر:55-58].**

**فأطلقوا -يا أيها المسلمون- الحسرات على فوات الأمس، وأرسلوا العبرات على مقاساة الرمس، وأحسنوا الاستعداد ليوم تدنو فيه منكم الشمس، وبادروا بالمتاب قبل أن يحلّ الموت بجوالبه، ويتمكن منكم بمخالبه، فيومئذٍ لا يُمَدُّ لكم في الأجل، وما فات منكم لا عِوض عنه ولا بدل، ولا تنفع يومئذ الغِلَل ولا الحِيَل، ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ \* وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[المنافقون:10-11].**

**وبعد:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **بمجيءِ عامٍ وانقضاءِ أخيهِ ثقتي بنصرِ اللهِ فوقَ مواجعي** |  | **أنا واثقٌ باللهِ حَدَّ التَّيهِ ما خابَ قلبٌ والمهيمنُ فيهِ** |

**﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ﴾[يوسف:110]، ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾[الأحزاب: 37]، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾[الأحزاب:38]، ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[الطلاق:3].**

**﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[آل عمران:** **٥٣].**

**﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[يونس:85].**

**﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[الممتحنة:4].**

**نسألك -اللهم- الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، ونسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، ونسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، ونسألك قلبًا سليمًا، ولساناً صادقًا، ونسألك من خير ما تعلم، ونعوذ بك من شرّ ما تعلم، ونستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب.**

1. () رواه مسلم (٢٨٥٨)، وأحمد (18009)، والترمذي (٢٣٢٣)، والنسائي في الكبرى (11797). [↑](#footnote-ref-1)
2. () حلية الأولياء (3/232) [↑](#footnote-ref-2)
3. () صفة الصفوة (2/494). [↑](#footnote-ref-3)
4. () رواه أحمد (٢٠٥١٨)، والترمذي (٢٣٣٠)، والحاكم (1256)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٩٧). [↑](#footnote-ref-4)
5. () رواه مسلم (٢٦٨٢)، وأحمد (٨٥٩٢). [↑](#footnote-ref-5)
6. () رواه أحمد (١٤٠١)، وأبو يعلى (٦٣٤)، والنسائي في الكبرى (10606)، وصححه الألباني في الصحيحة (٦٥٤)، وصحيح الجامع (5371). [↑](#footnote-ref-6)
7. () قصر الأمل لابن أبي الدنيا (103). [↑](#footnote-ref-7)
8. () حلية الأولياء (10/199) [↑](#footnote-ref-8)